

خطاب لرئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، أمام المؤتمر العام للجوالي اليهودية في أميركا، يتمحور حول خطر امتلاك إيران السلاح النووي

نيو أورلينز، ٨/١١/٢٠١٠

إن قصة الشعب اليهودي تقوم على الإبادة الكبرى التي أعقبتها النهضة الخارقة.

وتشكل جهودكم المشتركة لإعادة إعمار هذه المدينة العظيمة [نيو أورلينز] بعد مأساة الإعصار "كاترينا" الذي ضربها قذوة أخرى من الروح القادرة على الإنعاش. إذ إنكم حشدتم الطاقات لمساعدة نيو أورلينز على النهوض مجدداً تماماً مثلما حشدتم الطاقات مرة تلو الأخرى لمساعدة إسرائيل على الصمود بوجه العواصف التي تواجهها. يجب عليكم الاعتداد بما حققتموه من أجل الشعب اليهودي والدولة اليهودية وجهات أخرى. لذلك أتباهي على نحو مضاعف بفرصة الوجود معكم هنا اليوم وأشكركم.

كان مؤسس الحركة الصهيونية في العصر الحديث ثيودور هرتزل قد تكهن مطلع القرن ال-٢٠ بالتحديات الكبيرة التي ستواجه الشعب اليهودي المشتت. إنه رسم طريقاً واضحاً لاقتياد المصير اليهودي إلى شواطئ أكثر أمناً تتمثل بإقامة دولة يهودية. وقد اهتدت رؤية هرتزل بثلاثة ثوابت: تشخيص المخاطر واقتناص الفرص وتكريس الوحدة.

إن الثوابت الثلاثة هذه يجب أن تهدينا في فجر القرن ال-٢١ أيضاً. يتعين علينا تشخيص المخاطر التي تواجهنا والعمل على إحباطها. كما يتحتم اقتناص الفرصة الواردة لتحقيق الازدهار والسلام مع أولئك من جيراننا الراغبين في السلام. وينبغي لنا أخيراً تكريس الوحدة داخل شعبنا لمجابهة هذه المهام الجسام.

إن أكبر خطر يواجه إسرائيل والعالم ما هو إلا احتمال امتلاك إيران للسلاح النووي. إن إيران تهدد بالقضاء على إسرائيل، كما أنها تنكر حقيقة وقوع المحرقة (الهولوكوست) وترعى الإرهاب وتواجه الولايات المتحدة سواء في أفغانستان أو في العراق بالإضافة إلى هيمنتها في لبنان وغزة وإنشاء رؤوس جسور لها في الجزيرة العربية وإفريقيا، ناهيك عن انتشار نفوذها ليطال أميركا الجنوبية أيضاً. وتقوم إيران بكل هذه الممارسات دون أن تملك الأسلحة النووية فتصوّروا كيف ستكون ممارساتها حال امتلاكها هذه الأسلحة. تصوّروا مدى الدمار الذي سيلحقه وكلاء إيران – من أمثال حزب الله وحماس وغيرهما – تحت المظلة النووية الإيرانية.

ولهذا السبب فإن إسرائيل تقدر المساعي الناجحة التي قام بها الرئيس [الأميركي باراك] أوباما لإقناع مجلس الأمن الدولي بفرض عقوبات جديدة على إيران. كما تقدر إسرائيل الجهود الأميركية الناجحة لحمل دول أخرى على اعتماد عقوبات منفردة أشد قسوة على إيران. إذ ما من شك في أن هذه العقوبات تعرض النظام الإيراني لضغوط اقتصادية شديدة.

غير أننا لا نزال بانتظار مؤشرات على إعادة نظام الحكم الاستبدادي في طهران النظر في مساعيه للحصول على الأسلحة النووية. وكانت فترة قصيرة خلال عام ٢٠٠٣ هي الفترة الوحيدة التي علقت فيها إيران برنامجها النووي حيث كان ذلك عندما اعتقد النظام الإيراني بأن هناك تهديداً حقيقياً بشن حملة عسكرية [أميركية] ضده.

وبالتالي فإن المفارقة البسيطة هي كالاتي: إذا كان المجتمع الدولي بقيادة الولايات المتحدة يأمل في وقف البرنامج النووي

الإيراني دون اللجوء إلى العمل العسكري فيجب عليه إقناع إيران بأنه مستعد للإقدام على عمل كهذا. إن سياسة الاحتواء لن تحقق مبتغاها فيما يتعلق بإيران. إنها ستكون عديمة الجدوى إزاء نظام حكم تميّزه الوقاحة وبتهم أميركا بضرب مدنها في اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر أيلول [٢٠٠١] ويدعو علناً إلى إبادة إسرائيل ويشكل أكبر راع للإرهاب في العالم. عندما يتم التعامل مع نظام كهذا فإن السياسة المسؤولة الوحيدة هي منعه من تطوير القنابل النووية أصلاً. لذا تكون خاتمة الأمر كالاتي: لا بد من وقف البرنامج النووي الإيراني كونه أكبر خطر نواجهه.

غير أن هناك تهديداً خطيراً آخر يتمثل بالاعتداء على شرعية إسرائيل. لقد علمنا تاريخنا أن الاعتداءات على اليهود قد سبقتها في كثير من الأحيان محاولات لتجريد الشعب اليهودي من إنسانيته وتصويره على أنه مكوّن من مجرمين أشرار يشكلون مصيبة بالنسبة للإنسانية. وعليه يجب مجابهة محاولات أعدائنا وأصدقائهم غير المستقيمين للطعن في شرعية الدولة اليهودية.

كان هرتصل محقاً في أمور كثيرة. إنه كان محقاً فيما يتعلق بالمرقرة التي كانت ستلتهم أوروبا بعد حين ، كما ثبتت صحة موقفه الخاص بضرورة إنشاء دولة يهودية وضرورة إيجاد جيش يهودي لحمايتها. غير أن هرتصل أفرط في تفاؤله بأن مجرد إعادة ميلاد دولة يهودية ستضع حداً ولو تدريجياً لمعاداة اليهود.

إن إقامة دولة إسرائيل لم تُنه العداوة تجاه اليهود بل أعادت تحديد وجهتها إذ أصبحت العداوة القديمة للشعب اليهودي تتمحور حول الدولة اليهودية. وإذا كان اليهود قد تعرضوا فيما مضى للشيطنة وتم استنناؤهم أو حرمانهم من الحقوق التي مُنحت تلقائياً لغيرهم فإن إسرائيل باتت تتعرض حالياً للشيطنة في مناطق كثيرة وهي مستنناة ومسلوبة الحقوق الممنوحة تلقائياً لدول أخرى وفي مقدمتها حق الدفاع عن النفس. ويعتبر الكثيرون إسرائيل مذنبية إلى حين تثبت ذنوبها .

إن أكبر نجاح حققه هؤلاء المفترون علينا هو جعل بعض اليهود يعتقدون بصحة هذه الأقاويل أيضاً – الأمر الذي شهدناه اليوم أيضاً [بذلك عقب رئيس الوزراء على محاولات عدد من الشبان اليهود اليساريين مقاطعة كلمته أمام المؤتمر].

لقد تكلمت أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة السنة الماضية عن السخرية التي ينطوي عليها تقرير غولدستون الذي اتهم زوراً إسرائيل بارتكاب جرائم حرب في غزة قبل نحو عامين [خلال عملية الرصاص المصبوب مطلع ٢٠٠٩]. [وقد وقفت الولايات المتحدة بقيادة الرئيس أوباما وكندا بقيادة رئيس الوزراء ستيفين هاربير إلى جانب إسرائيل ضد فرية الدم هذه إلا أن دولاً أخرى كثيرة لم تحذو بالبلدين].

وقد اعترفت حماس أخيراً – الأسبوع الماضي – بمقتل أكثر من ٧٠٠ من مقاتليها على أيدي جيش الدفاع الإسرائيلي خلال تلك الحرب في غزة. وتحرياً للدقة فقد كان الجيش الإسرائيلي قد قال ذلك على الدوام بمعنى أن حوالي ٥٠% من الخسائر التي كبّتها الحرب كانت لإرهابيين حماسيين. إن نسبة عالية كهذه من الإصابات التي تكبدها المقاتلون المعادون مقابل نسبة قليلة كهذه من الإصابات في صفوف المدنيين الأبرياء لهي أمر لافت في حرب الشوارع المعاصرة. وتزداد هذه المعطيات تمايزاً عند محاربة عدو يعمل عمداً ودون خجل قرب المدارس وداخل المساجد والمشافي.

إن واضعي تقرير غولدستون مدينون بالاعتذار للجيش الإسرائيلي ، فيما يدين كل أولئك الذين دعموا وساعدوا على نشر هذا الافتراء بالاعتذار لدولة إسرائيل. أما خير طريق لمواجهة الأكاذيب فهو بالحقيقة. ولهذا أشيد بقراركم استحداث "شبكة العمل الإسرائيلية" ورصد الموارد اللازمة لخوض هذا الكفاح من أجل الحقيقة. يجب علينا مكافحة هذه الأكاذيب والافتراءات معاً ضمناً لتغليب الحقيقة.

إن التهديد المنطلق من إيران ووكلائها والاعتداء المتواصل على شرعية إسرائيل يمثلان الخطرين الأكبرين الواجب علينا التصدي لهما. دعوني الآن أن أحدثكم عن فرصتين جريبتين يجب علينا اقتناصهما: السلام والازدهار.

إن الفرصة السانحة حالياً لتحقيق اتفاق سلام إسرائيلي عربي أوسع نطاقاً تنجم أساساً من تصوّر التهديد المشترك. لقد أصبحت الحكومات العربية وكثير من مواطني الدول العربية يدركون أن إيران تشكل خطراً كبيراً بالنسبة لهم أيضاً. وأفسح هذا الإدراك المجال أمام تحقيق اتفاق سلمي أوسع مما قد يدعم جهودنا للتوصل إلى السلام مع جيراننا الفلسطينيين.

إن الإسرائيليين يريدون رؤية الفلسطينيين ملتزمين مثلهم بإنهاء النزاع بشكل نهائي. إنهم يريدون أن يشهدوا الفلسطينيين مستعدين للاعتراف بإسرائيل بصفقتها دولة الشعب اليهودي مثلما يستعد الإسرائيليون أنفسهم للاعتراف بدولة الشعب الفلسطيني. كما تريد إسرائيل سلاماً آمناً. لا نريد إخلاء المزيد من المناطق لنشهد تالياً إيران تدخلها وتطلق آلاف القذائف على مدننا علماً بأن هذا الأمر تحديداً قد وقع بعد أن خرجنا من لبنان وغزة. إننا لا نريد رؤية القذائف والصواريخ تتدفق على أراضي الدولة الفلسطينية وتُنصب على التلال المشرفة على تل أبيب أو المحيطة بأورشليم القدس. إذا لم تحافظ إسرائيل على تواجد أمني جدير بالثقة في غور الأردن في المستقبل المنظور فإن هذا السيناريو الخطير سيتحقق لا محالة.

غير أننا لن نسمح بحصول ذلك. لا نريد الأمن الذي يكون بمثابة جبر على الورق بل نريد التدابير الأمنية التي يجري تطبيقها على أرض الواقع أي الأمن الحقيقي. إنني مستعد لتقديم التنازلات من أجل السلام الحقيقي مع الفلسطينيين لكنني لن أراهن على أمن الدولة اليهودية .

ويجب على القيادات الفلسطينية التي تقول إنها تريد أن تعيش بسلام إلى جانب إسرائيل الجلوس إلى طاولة المفاوضات مع إسرائيل. يترتب عليها التوقف عن وضع الشروط المسبقة ومباشرة المفاوضات السلمية. قد يعتقد الفلسطينيون بأنهم يستطيعون العزوف عن المفاوضات وأن العالم سيطرح الإملاءات الفلسطينية على إسرائيل ، غير أنني واثق من أن هذا الأمر لن يحصل من منطلق الثقة بأن أصدقاء إسرائيل بقيادة الولايات المتحدة لن يسمحوا بحصوله. ولا يوجد إلا طريق واحد نحو السلام بمعنى التوصل إلى تسوية من خلال المفاوضات.

يجب علينا أن نمضي العام المقبل محاولين التوصل إلى اتفاق سلام تاريخي دون إضاعة الوقت في مناقشة قضايا هامشية لن تؤثر على خارطة السلام النهائي بأي شكل من الأشكال. إنني على يقين من أن توفر النية الحسنة لدى الجانب الفلسطيني سيسمح بإيجاد الصيغة التي تتيح استمرار المحادثات السلمية. وأعتقد بأنه إذا تحقق النجاح – ويسرني دوماً إفحام المشككين ، كما أنني أمضي في ذلك بشكل مُنْهَج – فإن السلام سيطلق العنان لفرص اقتصادية هائلة سواء بالنسبة للإسرائيليين أو الفلسطينيين أو شعوب المنطقة بأسرها.

لكن إسرائيل – وكما أثبتت السنوات الأخيرة – لم تنتظر السلام لاغتنام فرصة تطوير اقتصاد متين. وكنت قد أمضيت بصفتي رئيساً للحكومة ثم وزيراً للمالية ثم رئيساً للحكومة للمرة الثانية وقتاً لا بأس به لدفع إصلاحات اقتصادية وإزالة العوائق التي تعترض نمو الاقتصاد الإسرائيلي ، كما أحمل علامات "الثدوب" السياسية التي تبرهن ذلك .

إن الإصلاحات التي أجريناها قد غيرت من ملامح الاقتصاد الإسرائيلي لدرجة استحالة التعرف عليه. لقد أصبحنا نشقّ الطرقات السريعة وخطوط السكك الحديدية التي تجتاز أراضي البلاد لإيصال مناطق النقب والجليل بأواسط البلاد. إنني أعتزم إنجاز مشروع وضع خطوط للسكك الحديدية تربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط ونهر الأردن بميناء حيفا. وسيمكّن هذا المشروع إسرائيل من الاستفادة من موقعها الإستراتيجي في الوقت الذي تتزايد فيه حركة نقل البضائع من الشرق إلى الغرب.

فيما تتزايد حدة التنافس في الاقتصاد العالمي أصبحت إسرائيل تحتلّ مكاناً يؤهلها لتحقيق النجاح. إننا رواد التقنيات العالية عالمياً فيما حاز علماءنا على جوائز نوبل وأحدثت ابتكاراً في مجالات العلوم والطب والمياه والطاقة والاتصالات والزراعة وغيرها من المجالات الكثيرة من صورة العالم بالمعنى الحرفي. إن إسرائيل هي منبع للإبداع التكنولوجي والفني والثقافي.

وقد أصبحت إسرائيل تحتل المرتبة ال-١٥ بين دول العالم من حيث جودة الحياة فيها وفق معطيات الأمم المتحدة. وإذا لم تترك هذه الحقيقة أثرها على الشبان الحاضرين هنا فدعوني أطرح عليهم حقيقة أخرى قد يتأثرون لسماعها: إذا ما كنتم تخططون للرحلة إلى الخارج فإن "لوني بلانيت" [أحد أهم مراجع الأدلة السياحية العالمية] قد صنّف تل أبيب قبل وقت قصير ليس إلا في المركز الثالث بين مدن العالم الأكثر إثارة للعواطف. إنني شخصياً لا أوافقهم الرأي حيث أعتقد بأن هذه المرتبة تستحقها أورشليم القدس.. على كل فإن العصر الاقتصادي الأفضل ما زال ينتظر إسرائيل مستقبلاً.

إذا كنا نرجو إجهاض المخاطر واقتناص الفرص كان من واجبنا تعزيز وحدتنا. إن أفضل سبيل لتعزيز الوحدة اليهودية يتمثل بتكريس الهوية اليهودية. إننا نستطيع من خلال تعميق ارتباطنا بماضيها المشترك تمكين الصلات التي تربطنا ببعضنا البعض وبدولتنا وبالتالي تعزيز مستقبلنا المشترك. ولهذا السبب قررت إطلاق خطة التراث الوطني التي تقضي بترميم وإعادة إعمار المئات من المواقع اليهودية والإسرائيلية في أنحاء البلاد.

أريد الشبان أن يزوروا الموقع حيث أعلن دافيد بن غوريون [رئيس الوزراء الأول] استقلالنا مثلما أريدهم بالقدر ذاته القيام بزيارة مدافن أمهات وآباء الأمة اليهودية. وإذا كان الحديث يجري عن تشويه الحقائق فبؤسعكم تصوّر محاولات اليونيسكو [منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم] إنكار حقيقة وجود صلة لليهود بقبر راحيل المحاذي لأورشليم القدس وبالحرمة الإبراهيمي في الخليل .

إن فشل هذه المحاولة العنيفة لمحو ماضيها محتوم في الوقت الذي تربط فيه جيلاً جديداً من اليهود بتاريخهم. وسيعلم شباننا بأننا لسنا دخلاء في وطننا ؛ إنهم سيعلمون بما يعجز أعداؤنا والهيئات الدولية المسيّسة عن الاعتراف به بمعنى أن أبناء الشعب اليهودي ليسوا غرباء في أرض إسرائيل. إن إسرائيل هي وطننا وهي كانت كذلك دوماً وستظل هكذا إلى الأبد.

كما أنني قررت زيادة دعم إسرائيل للمشاريع التي تركز الهوية اليهودية في الشتات. وكنت قد قررت خلال فترة ولايتي الأولى رئيساً للوزراء استثمار موارد حكومية فيما اعتبره حينها الكثيرون بأنه لا يعدو كونه مدعاة للضحك أي فكرة استعداننا لتحمل نفقات استقدام شبان يهود للقيام بزيارات قصيرة لإسرائيل. وقد زار إسرائيل منذ ذلك الحين ضمن مشروع "إكتشاف" ما لا يقل عن ربع مليون يهودي ولا تزال مستمرين فيه. إنني ملتزم بالعمل مع برامج "إكتشاف" و"رحلة" و"شعلة" لضمان تمكين أي شاب يهودي يرغب في زيارة إسرائيل من تحقيق رغبته. كما أنني ملتزم بالعمل مع ناتان شيرانسكي [رئيس الوكالة اليهودية] والوكالة اليهودية لتعزيز الهوية اليهودية في الشتات.

أعلم بوجود قضايا خلافية تهدد بإحداث الانقسامات بيننا. يتعين علينا حل هذه القضايا بروح تقوم على التنازل والتسامح. أعدكم بصفتي رئيساً لوزراء إسرائيل بأنني لن أسمح لشيء بالتعرض لوحدة شعبنا. يجب على إسرائيل أن تكون دوماً مكاناً يستطيع كل منكم أن يدعو وطناً له. إن وحدنا لهي مدمك حيوي لقوتنا الجمعية. وكلما تزايدت مناسبات حديثنا بصوت واحد أصبح هذا الصوت مسموعاً أكثر من ذي قبل. ويجب أن يُسمع هذا الصوت عالياً وواضحاً في عالم يشهد التغيرات المتسارعة. إن الصعود المدهش لآسيا في مطلع القرن ال-٢١ يتحدى الكثير من الدول لكنه لا يمثل أي خطر .

إنه يشكل تحوُّلاً طبيعياً للثروة والقوة في العالم مما ينهض بمئات الملايين من الناس من حالة الفقر. إن الخطر الكبير الذي نواجهه لا ينجم عن الصراع بين الشرق والغرب بل من القوة العدوانية التي تدق الإسفين بينهما والتي تمدّ مخالبيها طويلاً وعرضاً. إن هذه القوة هي التطرف الإسلامي الذي لا يعرف تشدده ووحشيته الحدود. وإذا استطعت إيصال رسالة واحدة ليس إلا إليكم فإنها تقضي بوجوب إقدامنا على تحذير الآخرين من هذا الخطر.

لقد أظهر التاريخ أن الأسلحة الأحدث طورتها غالباً المجتمعات الأرقى. أما الآن فقد أصبح بمقدور أنظمة حكم استبدادية وبدائية وهمجية ترجم النساء وتشنق مثليي الجنس وتنتشر الإرهاب عالمياً وترسل القنابل إلى كُنس يهودية وتبث العقائد الأكثر تشدداً

امتلاك الأسلحة النووية. وإذا لم يتم التصدي لها فيعني الأمر أن أهلك الكوابيس – أي الإرهاب النووي – قد يصبح حقيقة واقعة. ولا يجوز للعالم المتحضر أن يسمح بحصول ذلك.

في الوقت الذي نواصل فيه بناء إسرائيل بصفتها دولة عصرية وديمقراطية والبحث عن السلام مع جيراننا يجب علينا أيضاً تحذير العالم من هذا الخطر الهائل. ويلعب الشعب اليهودي والدولة اليهودية دوراً محورياً بالوقوف إلى جانب الحداثة وضد القروسطية حماية لحضارتنا المشتركة. ويمكننا من خلال دعم المساعي لتبديد ظلال الطغيان الظالم أن نحقق رسالتنا ونكون منارة من الضوء والرقي لجميع الأمم.